# ما هو الكمال أو الميزة الذاتية؟ وما معنى اكتساب الكمال؟

**إعادة تعريف مفهوم الكمال أو الميزة الذاتية للكائنات**

توجد هناك مصطلحات يختلف معناها التقليدي الرائج عن تعريفها المخصص. على سبيل المثال نعرّف مفهوم "**الكمال**" عادة بأنه أفضلية وأرجحية ونتوق جميعا إلى اكتساب **الكمالات** ونتلذذ بالأفضلية في أي مجال ونستخدم عادة تمام قواتنا للوصول إليها.

يختلف مفهوم **الكمال** باختلاف التخصصات العلمية، حيث يقدم كل منها منظوره الفريد. في عالم علم النفس، يتم تعريف **الكمال** على أنه حالة الخلو من العيوب والخلو من أي نقائص. ولكن علم الإنسان الإسلامي يحدد **الكمال** من حيث التأثير الوجودي للكيان. علاوة على ذلك، فهو يشمل جميع القدرات والقوى الكامنة التي يمتلكها كل كائن في جوهره، يعكس **الكمال** الصفات الجوهرية التي تميز بعض الكيانات باعتبارها متفوقة على غيرها، **كمال** كل شيء هو أي عمل قادر عليه. على سبيل المثال، يمكن أن يظهر **كمال** الورق في أشكال مختلفة، مثل استخدامه كوسيلة للكتابة، أو العمل كمروحة يدوية، أو تمكين إبداعات الأوريجامي ، أو في قدرته على أن تستهلكه النار، من بين احتمالات أخرى متنوعة.

**الفرق بين الفضيلة والكمال أو الميزة الذاتيّة**

قد يبدو في النظرة الأولى أن يكون **الكمال** و**الفضيلة** مترادفين، بينما **الكمال** أو **الميزة الذاتيّة** لا يقتصر في **الميزات** الإيجابية، على عكس **الفضيلة** التي لها معانٍ إيجابية فقط. لتوضيح ذلك، عندما نشير إلى **الكمال** أو **الميزة الذاتية** في شيء ما، فإننا لا نركز بالضرورة على الصفات الإيجابية، وإنّما نعني كل ما

في نطاق مقدرته. مثلاً يمكن اعتبار عملية تخريب الجص على الحائط **كمالاً** للقلم بالإضافة إلى قدرته على الكتابة.

تبين دراسة هذا التمييز أن **كمال الإنسان** يشمل جميع **قدراته**، إلا أنها لا تؤدي تلقائياً إلى اكتساب **الفضيلة** ما لم تساهم هذه القدرات في خدمة تنمية ذاته الحقيقية أو الجزء الإنساني فيه. على سبيل المثال القدرة على التحدّث والتكلّم هي من إحدى **كمالات الإنسان** والتي لا تؤدّي إلى اكتساب **الفضيلة** إلّا إذا استخدمت فى خدمة البُعد الإنساني أو فوق العقل. اي حان الوقت لنرى كيفية ظهور هذه **الميزات الذاتية** في حياتنا.

**ميزة الكمالية**

هل صادفت شخصا يحب الضعف والنقص؟ أو أن يفضل البقاء أميّاً أو يكون جسمه ضعيفاً أو مريضا أو يعيشَ فقيراً؟ إذا وُجِد شخص كهذا، فهو بالتأكيد ليس ذا عقل سليم، لأن الإنسان يكره النقص والضعف بالفطرة ويحبّ أن يمتلك كل شيء بل و أفضله. قد يختار البعض العيش ببساطة بدلاٌ من الثروة، ولكن هذا لايعني أن الثروة لا تعجبهم، وإنّما هم ببساطة يعتبرون العيش وسيلةً لاكتساب أشياء أعلى قيمةً من الثروة. هذه الميزة تدعى ب: "**الكماليّة**". تعتبر **الكماليّة** والتّعرّف على أنواع **الكمالات** في الموجودات المختلفة من المفاهيم المهمّة التي إذا لم ندركها فلايمكن معرفة أنفسنا. فلذا ننصحكم أن لاتتجاهلوا المفاهيم التي سنذكرها.

**كل الكائنات تسعى إلى الكمال**

كل الكائنات، منها النباتات و الحيوانات والبشر و حتى الجمادات، تمتلك ميلا متأصلا نحو **الكمال**، إلّا أنّ طبيعة هذه **الكمالات** تختلف مع بعضهم البعض، إذ أن **كمال** كل كائن ينبع من مواهبه الكامنة في ذاته وتزدهر في ظروف مناسبة. مع ازدهار كل موهبة، يرتقي الكائن إلى مرتبة أعلى ويكتمل و يرتفع خطوة بخطوة نحو **الكمال** ويستمر هذا العمل حتى تدخل **كمالاته الذاتيّة** كلها إلى مرحلة التفعيل. إضافة على هذا فيمكن القول إنّ كل كائن، سواء كان نباتا أو حيوانا أو إنسانا سيصبح موجودا **كاملا** عند ظهور كل **كمالاته الذاتية** الخاصة به وإلا فهو ناقص.

تنقسم **كمالات الموجودات** إلى قسمين:

١. **الكمالات التمهيدية** أو الأوليّة
٢. **الكمالات النهائية** أو الحقيقية أو الثانويّة

لا تعتبر كل موهبة كامنة **كمالاً** إلّا منذ ازدهارها ولكنها ليست جميعها **كمالات حقيقية**. بعض **الكمالات** هي تمهيديات ضرورية لتوفير الظروف للوصول إلى **الكمال الحقيقي**. نشرح الموضوع عبر ذكر مثال: تصورا بذرة تفاح فيها مواهب مختلفة كالقدرة على النمو والتغذية والتلقيح والإنجاب. نلاحظ أنّ جميع هذه المواهب تزدهر الواحدة تلو الأخرى في عملية تحويل هذه البذرة إلى شجرة تفّاح لكي تعطينا في النهاية شجرة ذات ثمار لذيذة و عالية الجودة. برأيك، في أي الخطوات المذكورة أعلاه قد وصلت هذه البذرة إلى **كمالها النهائي**؟ هل من الممكن أن نعتبر شجرة التفاح كاملةً في **كمالها** لوتكون كثيرة الأغصان والأوراق لكنها دون أيّ ثمار؟ في الحقيقة قد يكون إنتاج الأغصان والأوراق الكثيرة **كمالاً نهائياً** اذا كانت الشجرة للزينة، ولكن لا هذا ينطبق على بذرة التفاح ولا يعتبر لها غاية **الكمال**. لهذا، يعد النمو والتغذية والتلقيح من **الكمالات الأولية** لشجرة التفاح و لكن لا يتحقق **كمالها الحقيقي** إلّا بعد تحويل البذرة إلى شجرة مثمرة ذات أثمار مجدية.

**النقاط المهمة حول الكمال أو الميزة الذاتيّة**

- النقطة الأولى: يختلف نوع **الكمال** فى الكائنات المختلفة ولايمكن اعتبار سمة واحدة **كمالا** للجميع. فمثلا إنّ الطعم الحلو **كمال** للكمثرى لكنه نقص للخَلّ لأنّ **كمال** الخلِّ هو في حموضته. من جهة أخرى، تختلف الكائنات في المواهب ولايمكن لجميع الموجودات الوصولُ إلى كل **الكمالات**. فعلى سبيل المثال يملك الإنسان موهبة التعلّم، مما يعد له **كمالا**، وبالمقابل فإنّ هذه الموهبة غير موجودة على الإطلاق في الحجر والخشب وبالتالي فإنّ تحقيق **كمال** يدعى ب: "تعلم العلوم" لا يحمل أي مغزى بالنسبة لهذين المادتين.
- النقطة الثانية: صحيح أنّ **الكمالات الأوليّة** تمهّد الطريق للوصول إلى **الكمال الحقيقي**، ولكن هذا القانون ليس قانوناً عاما، لأنّ **الكمالات الأوليّة** قد تكون عائقة ومخلّة في بعض الأحيان. فمثلا إنّ الأغصان والأوراق في الشجرة هي **كمالات أوليّة** ولايمكن للشجرة إنتاج ثماراً في حالة عدم وجود الأوراق والأغصان إذ أنها هي التي توفّر الطاقة اللازمة لإنتاج الثمار عبر التركيب الضوئي، ولكن قد يكون هذا **الكمال** مخرّباً في حال زيادته، حيث سيتم استخدام المواد المطلوبة لتغذية الأوراق والأغصان الإضافية قبل وصولها إلى الأثمار.
- وأما النقطة الثالثة، فاقرؤوا كلا النقطتين الأولى والثانية عدة مرّات! لأن هذه النقاط مرتبطة تماما بمعرفة النفس ونحتاج إلى مفاهيمها في سياق تعريف أبعاد الإنسان الوجوديّة.

لقد قمنا بتعريف مفهوم **الكمال** في هذا المقال و أشرنا إلى أنّ **الكمال** أو **الميزة الذاتية**، هي المواهب والقدرات الكامنة الموجودة في ذات جميع الكائنات و هو مفهوم يختلف عن فهمه الشائع بمعنى

الأرجحيّة. ثم قارنا بين **الكمال والفضيلة** ودرسنا **الكماليّة البشريّة**. وسنتطرق في الدرس التالي إلى **كمالات** باقي الكائنات.

وبما أن هذه المواضيع تعدّ مفتاحا للدخول في موضوع **معرفة الإنسان**، فنوصي بأخذها على محمل الجد ومتابعتها بعناية واجتهاد.

Montazer Montazer